الدرس الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أمَّا بعد:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب الكبائر :

بابٌ إغضاب الزوج

وقول الله تعالى: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ ﴾ الآية [النساء: ٣٤]

****

قال رحمه الله: «**بابٌ إغضاب الزوج**» ؛ الزوج له مكانة جاءت الشريعة ببيانها، وله منزلة جاءت الشريعة بوجوب حفظها، وأن له على زوجه حقًا عظيمًا وواجبًا كبيرًا، بل إن الأمر كما جاء في الحديث لا تؤدي المرأة حق ربها ما لم تؤدِّ حق زوجها؛ لعظم هذا الحق، بل ليس عليها حقٌ بعد حق الله عزّ وجلّ وحق رسوله صلى الله عليه وسلم أوجب من حق الزوج، فهو حقٌ عظيم ورب العالمين يسألها عنه يوم القيامة، وهو من أوجب الحقوق عليها بعد حق الله تبارك وتعالى وحق رسوله عليه الصلاة والسلام ، فكيف يصح منها أو يستقيم منها أن تُغضب زوجها وله هذا الحق!! وإنما الواجب عليها أن تعرف مكانته ومنزلته وقدره وأن تؤدي حقه طاعةً لله عزّ وجلّ ، فإن قيامها بحقه من جملة القُرب التي تكون سببًا لدخولها الجنّة مثل صلاتها وصيامها، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((إذا صلَّت المرأة فرضها، وصامت شهرها، وأدت زكاة مالها، وأطاعت بعلها قيل لها ادخلي الجنة من أيِّ أبوابها شئت)) ، فذكر طاعة البعل مع هذه الطاعات العظيمة الموجبة لدخول الجنة ؛ مما يدل على عظم شأن هذا الحق، بل جاء في الحديث قال عليه الصلاة والسلام: ((إنما هو جنتكِ ونارك)) ؛ مما يدل على عظم هذا الحق وجسامته وأن الواجب على المرأة أن تتقي الله عزّ وجلّ في بعلها. وإغضاب الزوج ذنب ليس بالهين، بل جاء عليه الوعيد الشديد في نصوص عديدة ساق المصنف رحمه الله تعالى شيئًا منها، كما أنه رحمه الله تعالى ساق من النصوص ما يدل على عظم مكانة الزوج وعظم حقه على زوجه.

قال رحمه الله تعالى: **وقول الله تعالى ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾** [النساء: ٣٤] ؛ وهذه الآية الكريمة ذكر الله سبحانه وتعالى فيها أن حال النساء مع الأزواج على قسمين:

- قسمٌ وصفهن جلّ وعلا بالصلاح والقنوت وكونهن حافظات للغيب بما حفظ الله.
- والقسم الثاني وصَف المرأة في ذلك بأنها ناشز، أي غير مطيعة وعاصية، وليست مبالية بحق الزوج ولا مكترثة بذلك، وذكر العلاج لمن كانت كذلك؛ أنه أولاً يبدأ معها بالمناصحة والتذكير بالله والتخويف، اتقي الله، توعظ وتذكَّر وتخوَّف، وإذا لم ينفع فيها الوعظ تُهجر في المضجع، وإن لم ينفع فيها لا هذا ولا هذا يُنتقل إلى الضرب غير المبرّح الذي لا يجرح البدن ولا يكسر العظم وإنما يكون الغرض منه التأديب لها.

وقوله جلّ وعلا: **﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾** ؛ الصلاح: يعني لزوم طاعة الله عز وجل بعبادته وامتثال أمره والاستقامة على شرعه ودينه سبحانه وتعالى إخلاصًا له واتباعًا لسنّة نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

﴿قَانِتَاتٌ﴾ ؛ قيل في معنى قانتات: أي مداومات على طاعة الله وعبادته، لأن القنوت: هو المداومة على الطاعة. وقيل في معنى قانتات –وهذا المعنى قد جاء عن ابن عباس وغير واحد من السلف–: أي مطيعات لأزواجهن، لأن من معنى القنوت الطاعة، المطيعات لأزواجهن: أي هن في طاعة دائمة للأزواج، بعيدات عن النشوز والعصيان وإغضاب الزوج.

وقوله: ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ أي أنها حافظة لزوجها بحيث إنها تصون فراشه، حافظة لفرجها، وحافظة لمال زوجها، وحافظة لبيته ولولده.

وقوله: ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ فيه أن هذا بتوفيق الله سبحانه وتعالى وتيسيره ومعونته جلّ وعلا، وأن المرأة لا تكون في شيء من ذلك إلا إذا أعانها الله سبحانه وتعالى ووفقها وسدَّدها.

قال رحمه الله تعالى :

٢٠٥ – عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها))، وفي رواية: ((إلا لعنتها الملائكة حتى تصبح)) أخرجاه.

****

قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أي إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ((**والذي نفسي بيده**)) يقسم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه بالله ربّ العالمين.

((**ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه**)) أي لقضاء وطره وشهوته.

((**فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها**)) وجاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((وباتت وزوجها عليها غضبان)) ، وأما إذا عذرها وسامحها ولم يبت غضباناً عليها فلعلها تخرج بهذه الرواية من هذه العقوبة وهذا الوعيد، أما إذا أغضبته وفي الغالب إذا جاء وهو يريد قضاء شهوته تحركت فيه الشهوة ثم أعرضت عنه وتأبّت وانشغلت وامتنعت فإن هذا يغضبه غضبًا شديدًا ويبيت وهو غضبان فتكون عرضةً لهذا الوعيد.

وذُكر هنا «سخط الله» وذُكر في الرواية الثانية «لعن الملائكة»، والسخط واللعن لا يكون إلا في الكبائر، أي أنها تبيت ليلتها تلك على كبيرة استحقت بها سخط الربّ سبحانه وتعالى، واستحقت بها اللعنة من الملائكة حتى تصبح، وهذا لا يكون إلا فيما هو كبير.

قال: ((**إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها**)) ولاحظ أيضًا هذا القيد «حتى يرضى عنها زوجها» إن كان الزوج سامح ورضي من أول الأمر وعفا عنها فلعلّ ذلك تسلم به من هذه العقوبة، وإن بات وهو غضبان فإن سخط الله عليها حتى يرضى الزوج ولعنة الملائكة -كما في الرواية- عليها حتى تصبح.

وتقييد هذا بالليل باعتبار أن الحاجة إلى هذا الأمر في الغالب تكون في الليل، لكن لو قُدّر أنه احتاج زوجته في النهار لهذا الأمر وامتنعت استحقت هذا السخط واستحقت هذا اللعن من الملائكة ما دام زوجها غضبانًا عليها حتى يرضى عنها ، لكن ذِكر الليل هنا باعتبار أنه الغالب أن هذا الأمر تكون الحاجة إليه أو الرغبة فيه في الليل غالبًا.

وقوله: ((**إلا كان الذي في السماء**)) هذا فيه إثبات العلو لله سبحانه وتعالى على خلقه، كقوله تعالى: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾[الملك: ١٦] ، ومعنى ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾ أي في العلو ؛ لأن السماء تارةً تطلق ويراد بها المبنية السماوات السبع، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [الذاريات: ٤٧] ، وتارةً تطلق ويراد بها مطلق العلو، ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ [الأنعام: ٩٩] أي من العلو ؛ لأن المطر ينزل من السحاب، والسحاب ليس في السماء المبنية وإنما في السماء الذي هو العلو. فإذا أريد بالسماء المبنية فإن «في» بمعنى «على» ، ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ وهنا((**إلا كان الذي في السماء**)) أي الذي على السماء ، وإن أريد بالسماء مطلق العلو فـ«في» على بابها.

وكما قدمت ذكر سخط الربّ سبحانه وتعالى وذِكر لعنة الملائكة كما في الرواية الأخرى دليلٌ على أن هذا الصنيع من المرأة إذا وجد معدودٌ في كبائر الذنوب.

قال رحمه الله تعالى :

٢٠٦ – وعنه مرفوعًا: ((لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها)) صححه الترمذي .

****

قال: **وعنه** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **مرفوعًا** إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**)) ؛ وهذا فيه تبيانٌ لعظم حق الزوج على زوجه، وقال ذلك عليه الصلاة والسلام على إثر مجيء أحد الصحابة وسجوده للنبي عليه الصلاة والسلام، لأنه رأى الناس في الشام يسجدون للأساقفة فجاء وسجد للنبي عليه الصلاة والسلام ، فنهاه عن ذلك وقال عليه الصلاة والسلام: ((لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)) بيانًا لحق الزوج ، ولكن نهى عن ذلك عليه

الصلاة والسلام وإن كان هذا سائغ عند من قبلنا وهو سجود تحية وليس سجود عبادة، ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف:١٠٠] هذا السجود تحية وليس سجود عبادة ، تحية مثل مد اليد للمصافحة ومثل المعانقة هذا كله تحية، والسجود هنا في هذا الحديث: ((لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد)) السجود هنا تحية ليس سجود عبادة، ومن قال إن السجود هنا المراد به سجود العبادة أبعد تمامًا الفهم ، لا يمكن أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد -أي عبادةً- لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)) لا يمكن أن يقول ذلك، وإنما المراد بالسجود هنا سجود التحية، مثل المصافحة ومثل المعانقة، يسجد أي تحيةً لمن سجد له ، أما أن يكون المراد يسجد أي عبادة ما يمكن أبدًا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك، وإنما المراد بالسجود هنا سجود التحية.

والنبي عليه الصلاة والسلام نهى ذلك: لأن شريعته من أقوى الشرائع المنزَّلة في سد الذرائع وحمى حمى التوحيد، وشريعة النبي صلى الله عيله وسلم جمعت بين أمرين: أنها سمحة في الأحكام ، وحنيفية في العقائد ؛ وكل أمر يكون ذريعة ويُخشى أن يكون يخلّ بالتوحيد أو يفضي إلى الشرك فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه حمايةً لحمى التوحيد ، وإن لم يكن الأمر الذي نهى عنه في ذاته شركًا لكن نهى عنه لماُ يخشى أن يكون مفضيًا إليه من الإشراك بالله، فحمى حمى التوحيد وسدّ كلَّ ذريعة تفضي إلى الإشراك بالله، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه؛ فبيّن التوحيد أتم بيان وحمى حماه، وحذَّر من الشرك أشد التحذير ونهى عن كل أمر أو ذريعة تفضي بالناس إلى الشرك بالله ، ونهيه عن هذا السجود -سجود التحية- هو نهيٌ عن أمر في النهي عنه حمايةٌ لحمى التوحيد وسدٌّ لذريعة من الذرائع التي قد تفضي بالناس إلى الإشراك بالله سبحانه وتعالى.

والشاهد من هذا الحديث: عظم حق الزوج وعظم ما له من حق على زوجه، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في بيان عظم هذا الحق: ((لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)).

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ أذى الصالحين

وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]

.

****

قال: «**بابٌ أذى الصالحين**» أي أن ذلك من الكبائر . والصالحون: هم من عُرفوا بين الناس باستقامتهم على طاعة الله؛ يحافظون على الصلوات الخمس، يحرصون على المكث في المساجد، ذكر الله، قراءة القرآن، الصيام، العبادة، لا يُعرف منهم دخول في الذنوب والكبائر والآثام، حافظًا لوقته، يعرفه الناس بذلك، والحكم إنما هو على

ظاهر الإنسان، باطنه بينه وبين الله سبحانه وتعالى، لكن من استقام ظاهره فهو من الصالحين ؛ من الصالحين : أي فيما يظهر للناس، وأما السريرة هذه بينه وبين الله سبحانه وتعالى، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر، لكن إذا عُرف الرجل باستقامته وعبادته ومحافظته على بيوت الله والصلاة فيها وعنايته بذكر الله وقراءة القرآن ونحو ذلك من المعاني ولا يُعرف عنه الدخول في الكبائر والذنوب والمعاصي، هذا حقه عظيم جدًا على الناس من الاحترام والتوقير والمعرفة بقدره ومكانته، فكيف يصل الأمر بأحد أن يؤذي الصالح!! إما استهزاءً أو ذمًا أو وقيعة أو تهكمًا أو سخرية، ولا يكون الاستهزاء بالصالحين إلا من الفسقة، هم الذين يعبث الشيطان بعقولهم إلى أن يكونوا كذلك؛ يهزؤون بالصالحين ويسخرون منهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣١] ، فلا يكون مثل ذلك إلا من الفسقة، وإلا فالصالح له مكانه وله احترام وله قدر ومنزلة في القلوب.

أورد رحمه الله تعالى **قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾** ؛ يؤذونهم هذا يتناول كل نوع من الأذى ، سواءً كان أذى قوليًا أو أذىً فعليًا.

﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي من عُرفوا بالصلاح والاستقامة والعناية بعبادة الله.

﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ أي بغير جرم ارتكبوه أو بغير ذنب اقترفوه.

﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ احتملوا: أي على ظهورهم ذنب عظيم وإثم كبير حملوه على ظهورهم بهذا البهتان الذي كان منهم بوقيعتهم وسخريتهم واستهزائهم وتهكمهم بالصالحين.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله –له كلام جميل جدًا في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب– يقول رحمه الله تعالى: «وقوله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ أي: ينسبون إليهم ما هم بُرَآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه، ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ وهذا البهت البيّن –أي حقيقته– أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم، ومِن أكثر مَنْ يدخل في هذا الوعيد الكفرةُ بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد بَرَّأهم الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله عزّ وجلّ قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم ويتنقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدًا، فهم في الحقيقة منكوسو القلوب ، يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين» اهـ كلامه رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى :

٢٠٧ – وعن أبي جبير رضي الله عنه: أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله مأخذها من عنق عدو الله، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: ((يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنتَ أغضبتهم فقد أغضبت ربك))، فقال: يا إخوتاه لعلي أغضبتكم؟ فقالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي . رواه مسلم.

****

قال رحمه الله تعالى: وعن أبي جبير رضي الله عنه: «**أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر**» أي في نفر كانوا معه. أتى: أي مرّ، مرّ على هؤلاء سلمان وصهيب وبلال. وكان هذا المجيء لأبي سفيان قبل إسلامه، وهو كافر في الهدنة التي كانت بعد صلح الحديبية، وهو إنما أسلم عام الفتح، ففي فترة الهدنة أتى أبو سفيان على سلمان وصهيب وبلال ، وهؤلاء الثلاثة كلهم من الموالي؛ سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، فأتى عليهم في نفر، أي في نفر كان معهم، ومعلوم أن هؤلاء كبار قريش كانوا شديدي الأذى للمسلمين وخاصة لضعفة المسلمين، ونالوا من هؤلاء أذى عظيمًا، فلما مرّ بهم أبو سفيان وقت كونه كافرًا قالوا هذه الكلمة .

قالوا: «**ما أخذت سيوف الله مأخذها من عنق عدو الله**» أي لم تستوفِ سيوف الله حقها ونصيبها من عنق عدو الله ، أي من عُرف بالعداوة بأقواله وفعاله وشدته، ما أخذت سيوف الله حقها أي حظها ونصيبها لم تستوفِ، بمعنى بقيت رؤوس لكبار من أعداء الله تبارك وتعالى، ومثل هذا الكلام يقولونه كنوع من التنفيس والغضب ، وقد مرّ بهم هذا الرأس من رؤوس الكفار، وكان ذلك كما قدَّمت قبل إسلامه في فترة الهدنة.

فقال أبو بكر رضي الله عنه –قد سمعهم يقولون هذا– : «**أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟**» يعني تقولون هذا لشخص هذه مكانته؟! ولعل أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه قال هذه الكلمة تأليفًا لقلب أبي سفيان، واستدراجًا له لعله يُقبِل على هذا الدين لما يسمع مثل هذه الكلمات التي قد تُدخل للقلب شيء من الراحة أو الرغبة، فلعله قال ذلك تأليفًا لقلبه، قال: «أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟»

«**فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره**» ؛ فأتى النبي : أي أبا بكر رضي الله عنه فأخبره أي بالذي حصل، قال إنهم قالوا وقال إنني قلتُ، ذكر له قول سلمان وصهيب وبلال في حق أبي سفيان، وذكر جوابه الذي قاله.

فقال: ((**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم** –أي سلمان وصهيب وبلال– **إن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك**)) هنا قف تأمل مليًا؛ الذي قال هذه الكلمة لو نظرت فيها مقارنة بكلمات كثيرة من التي تأتي على ألسن كثير من الناس في حق عدد من الصالحين ما تقارن بهذه الكلمة ، ولعل أبا بكر قال هذه –مثل ما قدمت– تأليفًا لهذا الرجل، لعل الله سبحانه وتعالى يشرح صدره بسماع مثل هذه الكلام للإسلام ، ومع ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: ((لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك)) .

وهذا موضع الشاهد من الحديث هنا في هذه الترجمة ((**لئن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك**)) ؛ فأي جناية تكون عندما يكون الإنسان يؤذي الصالحين !! إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حق خير الأمة أبي بكر رضي الله عنه في مكانته العظيمة ومنزلته العلية عندما قال هذه الكلمة، وهو إنما قالها في الغالب تأليفًا لقلب أبي سفيان، ليس له غرض في إغضاب هؤلاء، وليس له غرض في أذى هؤلاء، وليس له تقصُّد في أذى هؤلاء الصالحين سلمان وبلال وصهيب، وإنما قالها لما سمعهم يقولون هذه الكلمة تأليفًا لقلب ذلك الرجل ، ليس له غرض في أن يغضب هؤلاء أو أن يسيء إليهم، ومع ذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((لئن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك)) ، إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر هذه الكلمة مع ما ذكرت من أمور سبقت فكيف بمن يتقصد أذى الصالحين!! وتكون كلماته صريحة في أذاهم والطعن فيهم وسبِّهم وشتمهم والاستهزاء بهم؛ أي جُرم هذا؟! والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لئن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك)).

ثم انظر مسارعة الصحابة في الخير وعظم خشيتهم من الله، ومجانبتهم لكل ما يغضب الله ويسخط الله سبحانه وتعالى، لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ما قال، رجع إليهم وقال: «**يا إخوتاه**» يناديهم بهذا اللطف وهذا الكلام الجميل «**يا إخوتاه لعلي أغضبتكم؟**» يطلب السماح إن كان قد أغضبهم أو صدر منه كلام فيه إيذاء لهم. «لعلي أغضبتكم؟» يقول ذلك معتذرًا، إن كان القول الذي قاله آذاهم أو أغضبهم فهو يطلب منهم السماح والعفو عن ذلك.

فقالوا: «**لا**»، أي الكلام الذي قلته لم تغضبنا فيه، يعني لعلهم أدركوا أنه ما قصد بهذا الكلام أن يؤذيهم. وهذا أيضًا يبين المكانة التي كان عليها هؤلاء في حمل الكلام على أحسن محمل، أحيانًا الإنسان يسمع الكلام فيحمله على أسوأ محمل، وإذا حمله على أحسن محمل والتمس له ترتاح نفسه ولا يكون فيها الغضب. قالوا: «**لا**» يعني لم تغضبنا ولعله وقع في نفوسهم المعنى الذي أشرت إليه؛ أنه إنما قال ذلك يريد أن يتألف هذا الرجل لعل الله سبحانه وتعالى يهديه للإسلام.

«**يغفر الله لك يا أُخَيّ**» ؛ بضم الهمزة وضبطت أيضًا في بعض المصادر بفتحها.

«**يغفر الله لك يا أُخَيّ**» بالتصغير على وجه التحبب والتلطف والملاطفة والرفق . «**لا يا أُخَيّ**»: يعني ما حصل منك ذلك، ودعوا له بهذ الدعوة «يغفر الله لك». ولو قرئت هذه الجملة بالوصل «لا يغفر الله لك» تكون صورتها نفي المغفرة، وليس الدعاء بالمغفرة، لكن إذا قال: «لا» يعني ما أغضبتنا، «لا ، يغفر الله لك» ما يصلها، لأن وصلها تكون فيه صورة الكلمة دعاءٌ بنفي المغفرة، لا بحصول المغفرة. فقالوا: «لا» جواب قوله: هل أغضبتكم؟ قالوا لا أي لم تغضبنا، ثم أتبعوا ذلك بالدعاء «يغفر الله لك»، ثم أتبعوا ذلك بالتلطف في الخطاب بقولهم: «يا أُخيّ».

ويُنقل عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان ينهى عن مثل هذا؛ يعني أن يكون بالدعاء مسبوق بأداة النفي ، مثل أن يقول الإنسان يسأله: هل فعلت الشيء الفلاني؟ يقول: "لا عافاك الله" ، هل أديت الأمر الفلاني؟ يقول: "لا رحمك الله"، هل كذا، يقول: "لا غفر الله لك" . صورة الكلمة أنه ينفي عنه أن يغفر الله له أو أن يرحمه أو أن يعافيه، فيُنقل عنه أنه قال: «قل: عافاك الله، لا تزد»، وبعض أهل العلم يقول: إذا كان ولا بد فيضيف الواو، مثلاً يقول: لا، ويغفر الله لك، " لا، ويرحمك الله" ، " لا، ويعافيك الله" ، لكن أيضًا قول هؤلاء الأجلَّة رضي الله عنهم يفيد أن المرء إن قال هذه الكلمة ولم يأت بها موصولة، "لا غفر الله لك" ، "لا رحمك الله" ، لم يأت بها موصولة هكذا، وإنما قال: "لا"، أجاب على السؤال، وأتبع الإجابة على السؤال بسكتة تفصل بين الإجابة على السؤال ثم الدعاء الذي بعده، كأن يقول مثل ما في هذه الجملة التي أمامنا «لا» أي لم تغضبنا «يغفر الله لك يا أُخيّ» نطقها بهذه الطريقة واضح الفصل بين النفي العائد لما سبق، والدعاء الذي أُتبع بعد هذا النفي.

الشاهد أن إغضاب الصالحين أمر ليس بالهين، ومن يتأمل في هذه القصة يجد فيها أعظم عبرة، ها هو صدِّيق الأمة خيرها أفضلها بعد النبي عليه الصلاة والسلام، بل هو أفضل الناس بعد الأنبياء رضي الله عنه وأرضاه، ومع ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((**لئن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك**)) ؛ فإغضاب الصالحين أمْر ليس بالهين أبدًا، والواجب على العبد أن يتقي الله عزّ وجلّ في عباد الله صالحين، لا يغضبهم بأي شيء من الإغضاب، ويحرص على إعفاف لسانه وصيانته من أي شيء يكون فيه إغضاب للصالحين والإيذاء لهم، يبتعد عن ذلك أشد البعد، ويتقي الله عزّ وجلّ في ذلك.

ثم إذا كان انضاف إلى صلاح الرجل حقٌ آخر إضافةً إلى صلاحه ، مثل أن يكون الصالح أبًا أو أمًا أو جدًا، يعني بعض الناس في البيوتات عندهم آباء عُبّاد لله ما يُعرفون إلا بالصلاح والدعاء والذكر، وأبناؤهم ما يتقون الله فيهم، يغضبونهم دائمًا، ويُسمِعون آباءهم من الكلمات القاسية والكلمات المغضبة والكلمات المزعجة الشيء الكثير، ما يتقون الله سبحانه وتعالى في آبائهم، فإذا كان الإنسان إذا أغضب الصالح أيًا كان حتى ولو لم يكن قريبًا فقد أغضب الله ؛ فكيف بمن يغضب الصالح إذا كان أباه أو كانت أمه أو قريبًا له من خال أو عم أو نحو ذلك؟! أو جار، هذا أيضًا له حق آخر مرّ معنا عند المصنف رحمه الله تعالى قريبًا.

فالشاهد أن إيذاء الصالحين معدود في جملة الكبائر، وهو من جملة الأمور التي تغضب الله وتسخطه جلّ في علاه.

قال رحمه الله تعالى :

٢٥٨ – وللترمذي وحسنه عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((من أهان السلطان أهانه الله)).

****

قال: **وللترمذي وحسنه عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا** أي إلى النبي عليه الصلاة والسلام ((**من أهان السلطان أهانه الله**)) ؛ وإهانة السلطان يراد بها: إيذاء السلطان ، والوقيعة فيه، والتقليل من مكانته في نفوس

الناس، والحرص على إسقاط منزلته في القلوب، وتحريض الناس على الافتيات عليه، والخروج وعدم السمع والطاعة، والتقليل من مكانته في القلوب؛ يعمل على ذلك بين الناس فله هذه العقوبة جزاء وفاقًا، ((**أهانه الله**)) أي كانت عقوبته عند الله عزّ وجلّ أن يهينه، لأن السلطان الواجب أن يُجمع الناس عليه، وأن يكون أمر الناس جماعةً واحدة مع إمامهم، والنقص إذا وُجد يعالج بالطرق الشرعية، أما أن يكون الإنسان هذه طريقته في التعامل مع السلطان؛ إهانة السلطان والحرص على انتقاصه، والتقليل من مكانته في القلوب، ومَلأ القلوب عليه حقدًا وحنقًا وعدم معرفة بمكانته فإن هذا مما يوجب إهانة الله سبحانه وتعالى لمن كان كذلك، والله يقول: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج:١٨].

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.